

الحمد لله رب العالمين؛ فتح أبواب الخير للعاملين، ونوّع سبل الطاعات للمؤمنين، أحمده أن هدانا واجتباننا، وأشكره إذ أعطانا وأولانا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ رب غني كريم، غفور ودود لا يشغله شأن عن شأن، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ نصح أمته فدلنا على موارد الإحسان وخصال الإيمان، وحذرنا من أبواب الشر والخسران، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وأعلموا أن الله تعالى يجازي عباده المحسنين على إحسانهم في الدنيا والآخرة بما لا يخطر منهم على بال.

(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)

وإن من أعظم ما ينفع العبد في حياته وبعد مماته، ويدفع عنه من السوء مما يعلمه ومما لا يعلمه: بذل المعروف للناس، ومحبة الخير لهم، والإحسان إليهم؛ فإن ذلك لا يكون إلا ممن اتصف بالرحمة «وَأِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءُ» ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]

واصطناع المعروف باب من أبواب فعل الخير،، والباعث عليه ما في القلب من الرحمة؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» رواه الشيخان.

والمعروف كلمة جامعة تجمع بذل الخير والإحسان للناس بالقول أو الفعل، كُبر المعروف أو صغر، كثر أو قل، فلا ينبغي للمؤمن أن يزهّد في الخير والإحسان ولو كان قليلاً ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ١٧]؛

فطيب الكلام، صدقة قال سبحانه (وقولوا للناس حسناً)، و بَدُلْ الْجَاهِ، وَالْإِسْعَادُ بِالنَّفْسِ، وَالْمَعُونَةُ فِي النَّائِبَةِ صدقة .

وهكذا في صور قد يزدريها بعض الناس ولا يابهنون لها، وهي من المعروف الذي يحبه الله تعالى؛ ففي الحديث «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرَغَ مِنْ دُلُوكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ» وفي رواية للترمذي من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصْرَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوْكَةَ وَالْعِظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ...» وفي رواية للبخاري: «تُعِينُ ضَايِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ».

[SEPP] وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ» رواه الشيخان.

وفي حديث آخر أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عَنِ الْمَعْرُوفِ؟ فَقَالَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ صِلَةَ الْحَبْلِ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ شِسْعَ النَّعْلِ، وَلَوْ أَنْ تُفْرَغَ مِنْ دُلُوكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تُنَجِّيَ

الشَّيْءَ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ يُؤْذِنُهُمْ، وَلَوْ أَنْ تَلْفَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْطَلِقًا، وَلَوْ أَنْ تَلْفَى أَخَاكَ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنْ تُؤْنِسَ الْوَحْشَانَ فِي الْأَرْضِ» رواه أحمد.

وكلما كان العبد أكثر بذلا للمعروف كان أكثر جنيا لثمراته، وتحصيلا لآثاره التي جمعت خيري الدنيا والآخرة:

فمن آثار اصطناع المعروف: استدامة النعم؛ لأن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه وعلى عباده، وقد جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ قَوْمًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَدَلُوهَا، فَاذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ» رواه أحمد

فأقوى ما تحفظ به نعم المال والجاه والقوة شكر المنعم عليها، باصطناع المعروف بها، وبذلتها لمن يحتاجها. ناهيك عن ما يناله من دعوة صادقة ممن أحسن إليهم .

ومن آثار اصطناع المعروف: وقاية مصارع السوء في النفس والأهل والولد والمال؛ كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ...» رواه الطبراني.

ومن آثار اصطناع المعروف: تفريج كرب الدنيا والآخرة؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...» رواه مسلم.

ومن آثار اصطناع المعروف: محبة الناس ودعاؤهم؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، وصنع لها معروفاً ، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَيْتُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنْكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ سَبَقَ مِنِّي إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ إِلَّا أَضَاءَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ سَبَقَ مِنِّي إِلَيْهِ سُوءٌ إِلَّا أَظْلَمَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ».

فصنائع المعروف تنشر المودة والسرور، وتقرب القلوب، وتزيل شحناء النفوس، فلا يتقاعس عنها إلا مبخوس الحظ محروم.

أيها الكرام: إن صفو العيش لا يدوم، وإن متاعب الحياة وأرزاءها ليست جكراً على قومٍ دون قوم، وإن حساب الآخرة لعسير، وخذلان المسلم شيء عظيم.

والمسلمون هانوا أفراداً وهانوا أمةً حين ضعفت فيهم أواصر الأخوة، ووهت فيهم حبال المودة. عندما تستحکم الأنايات وتستغلق المسالك على أصحاب الضوائق.

ينظر أحدهم إلى الضعيف والمحتاج وكأنه قذى في العين.. يزلقونه بأبصارهم في نظرات كلها اشمئزاز واحتقار. ألا يعتبر هؤلاء بأفوام دار عليهم الزمان وعدت عليهم العوادي، واجتاحتهم صروف الليالي... فاستدار عزهم ذلاً، وغناهم فقراً، ونعيمهم جحيماً؟.

فلنتق الله رحمكم الله ولتكن النفوس سخية، والأيدي بالخير ندية، واستمسكوا بعرى السماحة وسارعوا إلى سداد عوز المعوزين، ومن بذل اليوم قليلاً جناه غداً كثيراً.. تجارة مع الله رابحة، وقرض لله حسن مردود إليه أضعافاً مضاعفة.. إنفاق بالليل والنهار والسر والعلن:

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
جعلنا الله تعالى من أهل المعروف، ومنّ علينا بنفع الناس. إنه سميع مجيب.
وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون: اصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، وإسعاف المكروب؛ وبذل الخير، والسعي في حاجة المحتاج؛ هو هدي الرسل عليهم السلام؛ لأنه من مكارم الأخلاق التي جاءوا بها، ودعوا إليها. وقد أفاض موسى عليه السلام الذي استغاثه، وسقى للفتاتين لما عجزتا عن السقيا لوجود الرجال.

ولما أنطق الله المسيح عليه السلام في المهد قال ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ [مريم: ٣٠ - ٣١].

قال مجاهد: «أي: نفّاعاً للناس أينما كنت» ولا شك في أن من بذل للناس منفعة دينية أو دنيوية فهو مبارك، وهذا هو بذل المعروف.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم بذل نفسه للناس حتى حطمه الناس كما في حديث عبد الله بن شقيق قال: «قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، بَعْدَ مَا حَطَّمَهُ النَّاسُ» رواه مسلم.

قال ابن الجوزي: كأنهم بما حملوه من أثقالهم صبروه شيئا محطوما.

وخطب عثمان رضي الله عنه فقال: «إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّقَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَغُودُ مَرَضَانًا، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا، وَيَعُزُّو مَعَنَا، وَيُؤَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ» رواه أحمد.

بل كان ذلك هديه وصفته قبل البعثة ؛ فإنه لما رجع مذعوراً خائفاً من غار حراء قال لخديجة : أي خديجة لقد خشيت على نفسي ، فهدأته وطمأنت نفسه بما عرفته من حاله وإحسانه للناس ، واستقرأت هديه وبذله الخير فقالت : كلا والله لا يخزيك الله أبداً : إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر .

ومن كانت هذه صفاته فلن يضيعه الله أو يتخلى عنه

وسار سلف الأمة على الهدي النبوي في بذل المعروف، ونفع الناس، قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «وَاللَّهِ لَأَنْ أَقْضِيَ لِأَمْرِي مُسَلِّمٌ حَاجَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ».

وقيل لِمَحَمَّدِ بْنِ الْمُتَكَدِّرِ رحمه الله تعالى: «أَيُّ الدُّنْيَا أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: إِذْخَالَ السُّرُورَ عَلَى الْمُؤْمِنِ».

فحري بالمؤمن أن يبذل المعروف لمن يعرف ومن لا يعرف حتى يكون هذا دأبه، ولا يحتقر من المعروف شيئاً، ولربما درأ الله تعالى عن العبد كريهات القدر بمعروف بذله لم يظن أنه رد أمراً عظيماً عنه.

ومن نظر إلى بلادنا والعالم يُتخطف من حولنا وقد سلمنا الله تعالى بمنه وكرمه ، حمد الله تعالى كثيراً ، وعزا ذلك إلى ما وفق الله إليه أهل هذا البلاد حكومة وشعباً من بذل الخير للقاصي والداني ، وإغاثة الملهوفين والمنكوبين في كل مكان ، ونصر المظلومين ، ومن ذلك الجهود المباركة في إعانة الإخوة في السودان وتخفيف معاناتهم ، وتنظيم حملة شعبية عبر منصة " ساهم " الرسمية ، تُسهم إسهاماً كبيراً في سد عوزهم وتخفيف مصابهم ورفع معاناتهم ؛ فلا تبخلوا على أنفسكم بما جاد الله (وءاتوهم من مال الله الذي ءاتاكم)

(ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء)

وصلوا وسلموا على نبيكم...